الاوضاع السياسية في سوريا بين الحربين (١٩١٩-١٩٣٩)

أ.م.د. ميثم علي نافع
جامعة الامام جعفر الصادق(ع) / كلية الآداب
maithemali28@gmail.com

ملخص:

تميزت سوريا بموقعها الجرافي مما اكسبها اهمية كبيرة بالنسبة للدول الاستعمارية الكبرى، فضلا عن ارتباط سوريا الوثيق بلبنان من خلال العلاقات الاجتماعية والتجارية والسياسية ، مما جعل الانظار تتوجه اليهما، و هذا زاد من شدة التنافس بين الدول الكبرى في فرض السيطرة عليهما .

خضوع سوريا للسيطرة العثمانية لفترة طويلة من الزمن ، اعطى الفرصة المناسبة لرجالاتها بأن يخوضوا في الحياة السياسية التي اكسبتهم معرفة اسلوب العمل السياسي والقدرة على التفاوض و عقد الاتفاقيات من اجل الاحصول على حقوقهم و التتخلص من سيطرة الاحتلال العثماني والفرنسي بتأجيج الثورات والانتفاضات العديدة والمستمرة في جميع مدن سوريا. خاض شعب سوريا خلال فترة ما بين الحربين العالميتين، الكثير من المعارك و الثورات والانتفاضات التي تنتهي الى المصادمات بين السوريين والفرنسيين ، وقدم السوريون اروع صور البطولة والتضحيات وقدموا دمائهم الزكية رخيصة في سبيل الحصول على الاستقلال و التخلص من الانتداب الفرنسي الذي كان امتداداً للحكم العثماني و تميزت هذه الفترة التاريخة بروز شخصيات وطنية مخلصة كان لهم دور واضح في مسيرة النضال السوري .

الكلمات المفتاحية : (السياسية سوريا، الحربين)

The political situation in Syria between the two wars (1919 -1939)

Prof. Dr. Maitham Ali Nafi
Imam Jaafar Al-SadiqUniversity / College of Arts
maithemali28@gmail.com

Abstract:

Syria was distinguished by its geographical location, which gave it great importance to the major colonial powers, in addition to Syria’s close connection with Lebanon through social, commercial, and political relations, which made attention turn to them, and this

increased the intensity of the competition between the major powers in imposing control over them.

Syria's subjection to Ottoman control for a long period of time gave its men the appropriate opportunity to engage in political life, which gave them knowledge of the method of political action and the ability to negotiate and conclude agreements in order to obtain their rights and get rid of the control of the Ottoman and French occupation by fueling the numerous and ongoing revolutions and uprisings in all of... Syria. The people of Syria fought during the period between the two world wars, The Syrians presented the most wonderful images of heroism and sacrifices and gave their pure blood cheaply in order to gain independence and get rid of the French mandate, which was an extension of Ottoman rule. This historical period was marked by the emergence of loyal national figures who had a clear role in the process of the Syrian struggle.

Keywords: (Politics _ Syria _ the two wars)

المقدمة:

سوريا من البلدان العربية التي لها تأثيرها السياسي الفعال في منطقة الشرق الاوسط ، من هنا جاء اختيار موضوع البحث الموسوم (الاوضاع السياسية في سوريا بين الحربين ١٩١٩-١٩٣٩) و تضمن البحث من مقدمة و مبحثين و خاتمة و تناول المبحث الاول مفردات الوصف الجغرافي لسوريا ، والانتداب الفرنسي ، و تقسيم سوريا الى دويلات ، اما المبحث الثاني فقد تطرق الى الخلاف بين السوريين والحكومة الفرنسية، النضال السوري ضد الانتداب ، نهاية الحكم الوطني السوري .

اعتمدتُ في كتابة البحث على مجموعة من المصادر التي تناولت موضوعة سوريا ، منها مصادر اجنبية كانت قريبة من فترة الانتداب الفرنسي و مصادر عربية كان البعض منهم من رجلات الفترة ، و كانت فيها اراء و وجهات نظر ، ايدتُ البعض منها و اختلفتُ مع البعض الاخر، و من المصادر التي تناولتها كتاب يقظة العرب لجورج انطونيوس الذي طرح فيه بعض الاراء و الافكار و كذلك كتاب قصة الكفاح الوطني في سورية لمؤلفه علي رضا و بين فيه كفاح الشعب السوري ، اضافة الى كتاب **صانعوا الجلاء في سورية** لنجاة قصاب حسن فضلاً عن كتاب **دراسة في تاريخ سورية السياسي المعاصر** لمؤلفه نزار الكيالي الذي غطى مساحة كبيرة من البحث، اما المشاكل التي واجهتني انشغالي في المجالات العلمية الاخرى ، واتمنى ان اكون قد وفقت في تقديم شياءً يسيراً مضافاً لمسيرة تاريخ سوريا .

المبحث الاول

وصف سوريا الجغرافي

تقع سوريا على الشواطى الشرقية للبحر الابيض المتوسط ، تحدها بادية الشام شرقا ، وجبال طوروس شمالاً ، وصحراء سيناء جنوباً ، هذه الارض تشكل وحدة جغرافية متماسكة عرفة في التاريخ الحديث (سورية) [١]، يذكر صاحب كتاب الانس الجليل في تاريخ القدس و الخليل للشيخ مجير الدين الحنبلي في الصفحة ٤٦٤ ان هذه البلاد كانت تعرف في عهد الفتح الاسلامي بأسم (بلاد الشام) ، وان الاوائل قسموا بلاد الشام الى خمسة اقسام : الشام الاولى فلسطين و اوسطها بلدة الرملة ، و الشام الثانية حوران و مدينتها العظمى طبرية ، والشام الثالثة الغوطة و مدينتها دمشق ، والشام الرابعة حمص ، و الشام الخامسة قنسرين و مدينتها العظمى حلب .

اما في العهد العثماني فكان اسم (سوريا) يشمل ولاية سوريا ، و ولاية حلب ، و ولاية بيروت، بالاضافة الى متصرفية القدس و سنجق لبنان ، وفقا للتقسيمات الادارية المطبقة في اواخر العهد العثماني [٢] .

كان لموقع سوريا الاستراتيجي عبر قارات اسيا و اوربا و افريقيا ، اثر كبير في رسم تاريخها السياسي ، فقد غزاها المغامرون و توافد عليها رجال الاعمال و التجار، حتى غدت سوريا على مر القرون ساحة حرب و ميدان تنافس بين الدول الكبرى و طريقا للتجارة العالمية و معبرا يصل الشمال بالجنوب و الشرق بالغرب [٣] .

و يبدو لي ان الواقع الحالي هو امتداد للواقع السابق، بل الان اشد وطئاً و تأثيراً على سوريا و البلدان المجاورة لها ، لان المصالح الاستعمارية الاقتصادية و السياسية اعمق و اكثر عدوانية من السابق، مما تسبب في فكرة ابادة الشعوب التي تمتلك اوطانها مواقع جغرافية مهمة لتحقيق اهدافهم الاقتصادية و السياسية .

خرجت سوريا من الحرب العالمية الاولى، بعد ان رسم مستقبلها بمقتضى ثلاثة اتفاقات مختلفة الاطراف و الاهداف وهي كما يلي :

الاتفاق الاول : هو الذي قامت به الحكومة البريطانية مع الشريف حسين بن علي بموجب المراسلات المعروفة التي جرت بين(حسين _ مكماهون) بهدف الاعتراف بحق العرب في اقامت مملكة عربية مستقلة او اتحاد دول عربية مستقلة عن الدولة العثمانية .

الاتفاق الثاني : هو الذي قامت به الحكومة البريطانية بعقده مع الحكومة الفرنسية بموجب اتفاقية(سايكس_ بيكو) الشهيرة ، بهدف اقتسام مناطق النفوذ في سوريا والعراق بين بريطانيا و فرنسا .

الاتفاق الثالث : هو الذي قامت الحكومة البريطانية بأصدار تصريح وعد بلفور المشؤوم الذي تضمن تعهداً بتسهيل أنشاء وطن قومي لليهود في فلسطين[٤] .

ويمكن القول و من خلال الاتفاقات البريطانية انها رأس الشر الحقيقي و الدمار الشامل للبلدان العربية منذ ذلك التاريخ و حتى يومنا الحاضر لمنعها قيام الوحدة بين البلدان العربية والعمل على تجزئتها باستخدام اساليب متعددة تتماشى مع الظروف الدولية فمثلا مرة تستخدم اسلوب الاستعمار ، ومرة اخرى تستخدم اسلوب الانتداب ، وبعدها اسلوب الوصايا والاشراف ، ومرة تصنع حكام و حكومات ممثلة عنها تماما و اخرى حربا سياسية والان تستخدن اسلوب السيطرة الاقتصادية .

تبين ان العرب الذين ثاروا لتحرير انفسهم من ظلم الحكم العثماني في سنة ١٩١٦ ، و جدوا انفسهم بعد انتهاء الحرب العالمية الاولى في سنة ١٩١٨ عرضة لاخطار جديدة اشد وادهى من سائر الاخطار التي عانوا اهوالها طوال فترة سيطرة الحكم العثماني ، لان الاخطار الجديدة اضحت تهدد حرياتهم السياسية ومصيرهم القومي في حين الاخطار القديمة كانت تخضعهم لحكم الخليفة العثماني [٥] .

الانتداب الفرنسي على سوريا

في اواخر ايام الحرب العالمية الاولى ، اصبحت جميع الاراضي الواقعة في نطاق (سوريا الطبيعية)، اي سوريا و لبنان والاردن وفلسطين ، خاضعة للاحتلال العسكرية من قبل جيوش الحلفاء ، وفي ٣/تشرين الاول /١٩١٨ دخل الامير فيصل بن الحسين دمشق ، وبعد يومين من دخوله اعلن تأسيس دولة عربية مستقلة تشمل سائر الاراضي السورية و عين السيد رضا الركابي رئيسا لوزراء سوريا [٦] .

اثار هذا الاعلان حماس الشعب السوري في جميع المناطق، وارتفعت شعبية الامير فيصل بن الحسين بين افراد الشعب السوري من المسلمين و المسيحيين و اصبح مركزه السياسي معترفا به في جميع ارجاء سوريا الطبيعية المعروفة بأسم (بلاد الشام) [٧] .

لم يكن المظهر العربي للحكم بفضل الركابي او اللنبي ، بل كان انعكاساً للجو العربي و الروح العربية الوحدوية التي تخيم على دمشق ، التي اصبحت كعبة الشباب العربي المثقف خلال الاشهر القلائل للحكم العربي ، فقد توطن من العراق و الحجاز و لبنان و فلسطين وباقي انحار سوريا ، رجال لعبوا دوراً كبيراً في تاريخ هذه الفترة ، و تاريخ العرب المعاصر ، وبوجود القادة المفكرين في مدينة واحدة حدث تطوراً اجتماعياً وسياسياً وثقافياً واصبحت البلاد في حركة دائبة و حماسة وطنية [٨] .

في ٣٠/تشرين الاول/١٩١٨ تم توقيع هدنة بين الحلفاء والاتراك وسمح الجنرال اللنبي قائد قوات الحلفاء البريطاني ، لقوات فرنسية صغيرة بالنزول الى شواطىء بيروت و رفع العلم الفرنسي ، وفي ٧/تشرين الثاني/١٩١٨ صدر اعلان مشترك من قبل الحكومتين البريطانية و الفرنسية ان الهدف الذي قامت من اجله فرنسا و بريطانيا بمتابعة الحرب التي

اثارتها المطامع الالمانية في الشرق ، كان هو تحرير الشعوب التي رضخت تحت ظلم الاتراك لفترة طويلة تحريراً تاماً و نهائياً و اقامت حكومات وطنية تستمد سطلتها من ممارست الشعوب لحقهم في الاختيار الحر، و كان هذا الاعلن مهدء لنفوس السوريين وغيرهم من شعوب البلاد العربية[٩].

في نهاية عام ١٩١٨ توجهت انظار العرب الى مؤتمر الصلح في باريس ، وانعقدت امالهم على هذا المؤتمر في الاعتراف بحقهم في الاستقلال و تقرير المصير ، لكن خابت امال العرب في هذا المؤتمر الذي قام بمناقشة قضية الممتلكات العثمانية و البحث في مصيرها ، في شباط ١٩١٩ فقد تقرر فصل الولايات العربية عن تركيا و يجري عليها تطبيق نظام الانتداب الجديد على تلك الولايات [١٠] .

نشب خلاف شديد بين بريطانيا وفرنسا حول موضوع اختيار السلطة التي ستندب للادارة والاشراف على تطبيق النظام الجديد، حيث اعلن لويد جورج رئيس الوزراء البريطاني ان القبول بمطالب فرنسا في دمشق وحمص وحماة وحلب يعتبر خرقاً للمواثيق المعطاة للعرب ، فقد اجاب المسيو بيشون وزير الخارجية الفرنسية ، ان فرنسا لم تعطِ الشريف حسين بن علي اي ميثاق ولم تقطع له اي عهد [١١] .

و تدخل الرئيس الامريكي ويلسون واقترح ايفاد لجنة تحقيق دولية للتعرض على مطالب الشعب السوري ورغباته في ممارسة حق تقرير المصير، وبعد ستة اسابيع من جهد متواصل وتحقيق دقيق شامل ، وبعد الاستماع الى وفود من مختلف المناطق السورية ، تقدمت لجنة (كنج – كراين) الامريكية التي رفض كل من فرنسا و بريطانيا تعيين ممثل منها للانضمام لهذه اللجنة بتقرير مفصل الى الشعب السوري الذي طالب بالاستقلال ورفض اي انتداب ، اما اذا لم يكن بدً من فرض انتداب محدد الاجل لارضاء الدول الكبرى ، فأن الشعب السوري يفضل الولايات المتحدة الامريكية كدولة منتدبة بالدرجة الاولى، وبريطانيا بالدرجة الثانية ، وان الشعب السوري قد رفض فرنسا كدولة منتدبة على سوريا ، وقد اوصت بأن تعالج قضية سوريا بما فيها لبنان و فلسطين كمجموعة واحدة او كيان واحد وان يحافظ على وحدة البلاد مع الابقاء عل الاستقلال الاداري للبنان ضمن اطارالوحدة السورية [١٢] .

قررت الحكومة الفرنسية بعد انسحاب القوات البريطانية التي يقودها اللنبي في ايلول/١٩١٩ ، احتلال سوريا مهما كانت المخاطر فقد عززت الحكومة الفرنسية قواتها المرابطة في بيروت بقوات من الجنود السنغال و الافارقة استعدادا للزحف على دمشق [١٣] .

في ٩/تشرين الاول/١٩١٩ عينت الحكومة الفرنسية الجنرال غورو مندوبا ساميا في سوريا وكيليكيه وقائدا عاما للجيش الفرنسي في المشرق وقبيل سفره الى مركز عمله الجديد قام الجنرال غورو بزيارة وداعية لمسيو كلمنصو رئيس وزارء فرنسا الذي قال له ((انك ستصبح الجندي الكبير الذي سينشأ بيتاً فرنسياً في المشرق)) ، وصل الجنرال غورو الى بيروت يوم ٢١/تشرين الثاني/١٩١٩ على ظهر باخرة حربية فرنسية و استقبل استقبالاً حاراً من قبل الجمهور الذي

كان يردد ((ان فرنسا ستكون الموجه لنا ولن تتصرف يوماً كالاسياد فالوصاية على سوريا غير واردة)) واصبح على غورو ان يأمن تواجد بلاده العسكرية من مرسين وجبال طورسوس شمالاً الى حدود فلسطين جنوباً [١٤] ، بينما كانت الاحوال السياسية تزداد توتراً و سوءاً يوماً بعد يوم بسبب بناء التحشدات و الاستعدادات الفرنسية التي تثير القلق الشديد في دمشق و تخلق جواً من التوتر المشوب بالحذر [١٥] .

عقد المؤتمر السوري في دمشق في ٧/اذار/ ١٩٢٠ و كان يضم ممثلين عن كافة المناطق السورية (الداخلية و الساحلية و الجنوبية) بأعلان استقلال البلاد السورية بحدودها الطبيعية التي تشمل سوريا و لبنان و فلسطين استقلال تاما و تم اختيار الامير فيصل بن الحسين ملكاً دستورياً عليها ، على ان تراعي اماني سكان لبنان في كيفية ادارة منطقتهم ضمن حدودها المعروفة قبل الحرب العالمية الاولى ، و رفض المخطط الصهيوني الهادف الى جعل فلسطين وطناً قومياً لليهود [١٦] .

ويبدو لي ان السوريين ارادوا بهذا الامر الصادر عن المؤتمر السوري المنعقد في ٧/اذار/١٩٢٠ ، ان يجعلوا كل من بريطانيا وفرنسا امام الامر الواقع الحقيقي الذي يمثل ارادة الشعب العربي السوري و يقف بالضد من كل المؤامرات و المؤتمرات الاستعمارية التي تحاك في الخفاء ضد استقلال سوريا .

في ١٥/ اذار/ ١٩٢٠ اعلنت الحكومتان الفرنسية و البريطانية رفضهما لقرار المؤتمر السوري ، و دعتا الى مؤتمر الصلح للانعقاد في (سان ريمو) بقصد الوصول الى تسويت بخصوص توزيع الاراضي العربية بينهما ، و هذا ما عبر عنه الكاتب الفرنسي جان لابيير حيث ذكر ((كان من الازم اقتسام جلد الدب وهو لايزال يركض ، بدلاً من الاقتتال حول الجيفة)) [١٧] ، في ٢٥/نيسان/١٩٢٠ انعقد المجلس الاعلى للحلفاء في سان ريمو و اصدر قرارين يقضي بتقسيم سوريا الى :

١- القسم الشمالي الذي يمثل سوريا و لبنان اعطي لفرنسا .
٢- القسم الجنوبي الذي يشمل فلسطين و شرق الاردن اعطي لبريطانيا، اضافة الى سلطة الانتداب على العراق بما في ذلك الموصل ، واعطي لفرنسا مقابل ذلك ٢٣.٧٥ بالمئة من الاسهم الخاصة بحقول النفط في العراق [١٨] .

اثارت مقررات سان ريمو موجة من الغضب والاستياء و الاحتجاج الصاخب في جميع ارجاء البلاد السورية ، خاصة لاختيار فرنسا كدولة منتدبة عليها ، لكن الموقف العسكري الفرنسي لم يتأثر بالاحتجاجات و المعارضة الشديدة من قبل فئات الشعب السوري ، بل انه اصبح اكثر صلابة بعد انتهاء حملة كيليكا وتوقيع الهدنة مع الحكومة التركية في ٣٠/ايار/١٩٢٠ ، و بذلك اصبح الجيش الفرنسي مستعد للعمل ضد الحكومة العربية في دمشق[١٩] .

في ١٤/تموز /١٩٢٠ وجه الجنرال غورو انذاراً شديداً للملك فيصل و تضمن خمسة شروط مذلة تصب كلها في تسهيل عملية احتلال فرنسا لسوريا ، و لم يستطع فيصل تقبلها في البداية ولا الشعب السوري ان يقبلها ، فحدثت حوادث و مناوشات بين المحتل و الشعب السوري ، لكن حقيقة الامر ان فرنسا كانت عازمة على احتلال سوريا ، ويعود هذا الامر الحلم الذي كان يراود اذهان الفرنسيين منذ نهاية الحروب الصليبية ، حيث ان فرنسا كانت لها مصالح في سورية منها البعثات التبشيرية والمدارس الدينية والعلاقات التجارية ، اضافة الى ما تدعيه من حقوق تقليدية في حماية الكنيسة الكاثوليكية [٢٠].

على اثر معركة ميسلون غادر الملك فيصل دمشق الى درعا بعد ان تخلى عنه الجميع ، الا انه اجبر على تركها بعد ان هدد الجنرال غورو بضرب المدينة ، اذا ما اوت الملك المخلوع ، و في ٢٦/تموز /١٩٢٠ تشكلت حكومة مؤيده للانتداب الفرنسي في دمشق في حين تابعت القوات الفرنسية زحفها واحتلت حمص وحماة ثم حلب [٢١].

سبق لي وان ذكرت ان سوريا تتمتع بموقع استراتيجي مهم ، مما جعل لفرنسا رغبة في جعل سوريا مركز و قاعدة لها في الشرق الاوسط ، فضلاً عن مركزها التجاري في البحر الابيض المتوسط وتعزيز مركزها كحلقة للمواصلات بين القارات الثلاثة اسيا و افريقيا و اوربا ، كما ان الجنرال غورو قد حقق وصية كلمنصو رئيس وزراء فرنسا بزيارته الوداعية قبل تسلم منصبه ، لذلك كانت تنظر لسوريا على انها غنيمة كبيرة لا يمكن التنازل عنها او تركها

تقسيم سوريا الى دويلات

استخدمة الحكومة الفرنسية اسلوب سياسة (فرق تسد) في سوريا و لبنان كانت مخالفة لرغبات الشعب السوري ، و انطلاقا لهذه السياسة التي كانت باكورة اعمال الجنرال غورو هي تقسيم سوريا الى عدة دويلات ، بعد ان سبق اقتسامها بين بريطانيا و فرنسا بموجب مؤتمر سان ريمو .

في ٣١ /اب/١٩٢٠ اصدر المفوض السامي الفرنسي قرارين :

اولهما :- (دولة لبنان الكبير) و الحق بها كلاً من بيروت و طرابلس والصور وصيدا و مرجعيون و سهل البقاع وضم اربعة اقضية اليها من ناحية الشرق وهي بعلبك و حاصبيا و راشيا والبقاع و علل ذلك بأن هنالك عرائض قدمت اليه من سكان هذه الاقضية وتبين من فحص هذه العرائض كانت مكتوبة بخط واحد و مختومة بحبر واحد [٢٢]، فقد ضاعف الجنرال غورو حجم سنجق لبنان والحقه بمنطقة مأهولة باغلبية مارونية من السكان الذين يدينون بالولاء التقليدي لفرنسا والحق مناطق اخرى تسكنها اغلبية مسلمة لم تكن ترغب في الالتحاق بدولة لبنان الكبير .

ثانيهما : تأسيس (دولة العلويين) وضم قضاء مصياف اليها ، واقامت الحكومة الفرنسية دولتين جديدتين في باقي المناطق السورية هما (دولة دمشق) و(دولة حلب) ، ثم بعد مضي فترة من الزمن اضافة الحكومة الفرنسية الى هذه

الدويلات دويلة خامسة هي (دولة جبل الدروز) التي اعلن عن قيامها في ٤/اذار/١٩٢١ بحجة ان هناك رغبات درزية بذلك [٢٣].

يبدو لي ان هذه الحجة غير صحيحة لان الدروز عبر الثورات التي قاموا فيها ووقوفهم بالضد من القوات الفرنسية لاجل تحقيق الجلاء الفرنسي عن سوريا ، و كان بمكان الدروز تكوين دولة لهم ، لكن رغبتهم و هدفهم الاساسي بقائهم ضمن سوريا و ان ادعاء فرنسا بذلك كان لاجل تقسيم سوريا واضعافها و محاولة السيطرة عليها و عزلها عن باقي اجزاء سوريا ، وبرر الفرنسيون سياسة التقسيم التي انتهجوها ، ان تقسيم سوريا الى عدة دويلات مستقلة يستند الى رغبات الاهليين و ان هذه التقسيمات تتبع المميزات العرفية و الدينية و الاجتماعية للجماعات التي يتألف منها سكان سوريا و كان رد الدكتور عبد الرحمن الكيالي باسم الكتلة الوطنية على هذه المزاعم الفرنسية التي فندها و كشف بطلانها بقوله ((ان سياسة التقسيم و التجزئه لا تستند البتة الى رغبات الشعب السوري و لكنها مبنية على رغبة فرنسا في تجزئة البلاد و لتتمكن من اضعافها فيسهل حكمها)) [٢٤].

و يبدو لي ان عملية تقسيم سوريا الى دويلات من قبل الحكومة الفرنسية كان الغرض منه اضعاف سوريا وبالتالي اصبح بالامكان فرض السيطرة السياسة و العسكرية وهذا ما كانت تسعى اليه فرنسا من خلال تطبيق سياسة (فرق تسد) اضافة الى ذلك ان اعباء مالية ترتبت على هذه التقسيم تحملها الشعب السوري و بعبارة اخرى ارادة فرنسا اضعاف سوريا اقتصاديا وبالتالي ترضخ للامرالواقع .

في ٢٣ /كانون الاول/ ١٩٢٠ تم توقيع الاتفاق الفرنسي – البريطاني لرسم الحدود بين سوريا و لبنان وفلسطين والعراق وبذلك سلخت فلسطين و شرقي الاردن رسميا عن سوريا، وكان لشعب سوريا موقفا وطنيا رائعا من خلال احزابه لاجل ايصال صوت سورية الى جمعية الامم قبل ابرام سك الانتداب ، لذا ذلك واضحا في ٩/نيسان/١٩٢١ حين وجه حزب الاتحاد السوري منشورا دعا فيه الاحزاب الوطنية جميعها الى عقد مؤتمر سوري في جنيف من اجل الوحدة السورية .

في ٢٧/ اب/ ١٩٢١ افتتح المؤتمرالسوري جلساته في جنيف برئاسة الامير ميشيل لطف الله رئيس حزب الاتحاد السوري وحضره ١٩ مندوبا عن احزاب الاتحاد و الاستقلال العربي والجمعية الاسلامية و المسيحية و الوفد الفلسطيني و اللجنة الفلسطينية في مصر والجمعية السورية الوطنية في بوسطن (امريكا) و الحزب الوطني العربي في الارجنتين وحزب تحرير سوريا في نيويورك و حزب استقلال سوريا و وحدتها في تشيلي ، ولوحظ ان المغتربين كان لهم حضورا بسبب الحرية التي يتمتعون بها اكثرية المؤتمر في حين ان ممثلي سوريا و لبنان وفلسطين كانوا يمثلون مجموع السكان .

ختم مؤتمر جنيف اعماله بنداء مكتوب بالفرنسية موجه الى رئيس و مندوبي جمعية الامم يؤكد الوحدة القومية في سوريا في الجنس و العرق و اللغة العربية وكانت له خمسة مطالب هي :- الاعتراف بالاستقلال و السلطان القومي لسوريا و لبنان وفلسطين وحقها في الوحدة في ظل حكومة مدنية و مجلس نيابي منتخب ، وان تتحد مع البلاد العربية الاخرى اتحادا فدراليا ، و الغاء الانتداب فورا و جلاء الجيوش الاجنبية عن سوريا وفلسطين ولبنان والغاء وعد بلفور (٢٥).

تعرضت الحكومة الفرنسية في سوريا الى انتقادات شديدة سواء في الاوساط الدولية او في اوساط الشعب السوري بسبب سياسية التقسيم التي لجأت اليها ، وبدات عيوب سياسة التقسيم تظهر للعيان يوما بعد يوم ، مما اضطر المفوض السامي الفرنسي الى اصدار قرارا في ٢٨/حزيزان/١٩٢٢ يقضي بضم كل من دولة دمشق و دولة حلب ودولة العلويين في اتحاد سوري ، لكن المجلس الاتحادي طالب بأنشاء دولة سوريا الموحدة لجميع اجزاء سوريا ، وهذا الطلب لم يلقٍ قبولا من السلطة الفرنسي المنتدبة ، بل لجأت السطلة المنتدبة الى اعادة تقسيم الاتحاد السوري الى دولتين هما : دولة سوريا التي تضم ما كان يطلق عليه في السابق دولة دمشق و دولة حلب و دولة العلويين (٢٦).

و يمكن القول انه اصبح من الواضح ان سياسة الحكومة الفرنسية في سوريا تعتمد على اسلوب التجزئة ، مرة تقوم بالتقسيم و مرة اخرى تدعوا الى قيام مجلس اتحادي وهذا دليل على الفشل السياسي لحكومة فرنسا وعدم قدرتها على احتواء الشعب السوري او عدم قدرتها على اقناع الشعب السوري بقبول الانتداب .

هذه التقسيمات التي قامت بهاء الحكومة الفرنسية المنتدبة رتب على السوريين نضال ربع قرن لاعادة توحيد سوريا توحيدا كاملا وتحريرها تحريرا شاملا ، وكان اكبر الثورات على الانتداب الفرنسي ثورتي ١٩٢٢ ، ١٩٢٥ (٢٧) .

المبحث الثاني

الثورات السورية ضد الاحتلال الفرنسي

نشبت عدت ثورات في مناطق مختلفة في سوريا ضد الاحتلال الفرنسي و ساكتفي بذكرها دون الولوج فيها لان الكثير من الباحثين تناولوا هذه الثورات بشكل مفصل وتوضيح اهميتها في طريق استقلال سوريا و من هذه الثورات التي تركت اثرا واضحا في تاريخ سوريا و فرنسا منها ، ثورة ابراهيم هنانو قي الشمال ، وثورة الشيخ صالح في الساحل ، وثورة سلطان باشا الاطرش في جبل الدروز (جبل العرب) (٢٨) .

و يبدو لي ان هذه الثورات التي ذكرت و التي وقعت خلال فترة الاحتلال الفرنسي ، اضافة الى ثورات اخرى وقعت في حماة ودمشق والغوطة و دير الزور ، لم تكن الا نتيجة حتمية لعدة سنوات من سوء الادارة الفرنسي وتجزئة البلاد ، فضلاً الى الفساد والظلم اللذين سادا اجهزة الحكم فترة الانتداب الفرنسي .

لم تلجأ الحكومة الفرنسي الى اعلان استقلال سوريا ، كما فعلت الحكومة البريطانية في العراق ، فقد جنحت السلطة المنتدبة الفرنسية الى مختلف وسائل الشدة والبطش والارهاب العسكري لقمع تلك الثورات الوطنية فكانت الاجراءات التي اتخذها الفرنسيون من العنف و القسوة ما يبلغ حد الجرائم ضد الانسانسة ، حيث قامت القوات الفرنسي بقصف المدن والقرى بالمدافع و الرشاشات من البر و الجو وبدون سابق انذار و اباحت لجنودها ممارسة اعمال القتل والسلب و النهب واحراق المنازل و المتاجر ، وبررت الحكومة الفرنسية هذه الاعمال والجرائم الوحشية الى الادعاء امام اللجنة الدائمة للانتدابات بانها قامت بتطبيق العقوبات الجماعية ضد السكان لقمع الثورات التي اشتعلت في مختلف انحاء البلاد و ان هذه الاجراءات القمعية لم تكن الا استمرار للاجراءات التي كانت متبعة اثناء الحكم العثماني [٢٩] .

يبدو لي ان العذر الذي ذكرته الحكومة الفرنسية هو اقبح من الذنب و الفعل الذي قامت به، ونسيت الحكومة الفرنسية بانها كانت مكلفة من قبل عصبة الامم لارشاد الشعب السوري والعمل على النهوض به ومساعدته في طريق الاعتماد على نفسه و من ثم السير في طريق منحه الاستقلال و الازدهار ، بينما نهجت الحكومة الفرنسية نهج وسلوك الطغاة العثمانيين .

ان الشعب السوري لن ينسى ابداً قصف احياء دمشق ومنازلها بالمدافع ، ولن يصفح عن الاعمال الاجرامية التي ارتكبت من قبل القوات الفرنسية ضد المواطنيين الابرياء [٣٠] .

الخلاف بين السوريين والحكومة الفرنسية

إنَّ العقيدة الراسخة في نفوس السوريين و الجرأة النادرة لديهم في التماس ما يعتقدون حقا لا سبيل الى نكرانه ، هي التي اوصلتهم الى نعمت الاستقلال ، واخرجت القوى الاجنبية من ديارهم و حصلوا على ما كانوا يصبون اليه ويتوقون الى بلوغه من وضع مستقل لا سلطان فيه لغير الامة ولا سيادة لغير ابنائها ، فاذا كان هذا اثر الايمان في النفس و العقيدة الراسخة القلب والجرأة الكامنه بين الضلوع فان هذه الدولة السورية الناشئة لسوف تبلغ بهذا الصفات التي تميز بها ابناؤها اقصى ما تريده من نهوض و رفعة شأن ومكان بين الامم المستقلة الناهضة [٣١] .

خضعت سورية مدة من الزمن للانتداب الفرنسي ، وكانت فرنسا مصدر كل سلطة و مرجع كل تشريع ، و لما عاد لسوريا حق سن القوانين وجدت نفسها امام مجموعة غير متلاحمة من الشرائع النافذة الناسخة و المنسوخة فالتمس عملها بسبب هذا الطغيان وعجزت عن اعادة النظر في القوانين النافذة جملة واحدة ، فقد وضع سك الانتداب موضع التنفيذ رسميا في سوريا في ايلول /١٩٢٣ بعد ثلاثة سنوات من الحكم المباشر و سارة السياسة الفرنسية على نهج من الحكم ان تجعل سوريا قابلة للرضوخ امام الامرالواقع ، في حين رفضت سوريا انتداب فرنسا و ابت

ان تعترف به شكلاً و اساساً و اعتبرت فرنسا موجودة بقوة الاحتلال العسكري ، في وقت ترمي فيه عصبة الامم الى اخفاء حقائق التوسع الاستعماري بطلاء الانتداب و رضا الشعوب التي تطبق عليها احكامها الجائره [٣٢] .

كانت هنالك مجموعة من الاسباب التي ادت الى التوتر بين الحكومة الفرنسية المنتدبة والزعماء الوطنيين السوريين و ساتطرق للبعض منها :

١- السياسة النقدية التي قامت بها الحكومة الفرنسية بتطبيقها في سوريا ولبنان ، حيث لجأ الجنرال غورو الى اصدار نقد سوري ورقي جديد و انشأ بنك سوريا ولبنان وهو مؤسسة فرنسية حصرا فيها حق اصدار النقد السوري الجديد بموجب النظام الخاص بهذا البنك الذي تم التصديق عليه في ٢٣ /كانون الثاني/١٩٢٤ ، وبذلك تم استبدال العملة الذهبية التي كانت متداولة في سوريا بعملة ورقية تابعة للفرنك الفرنسي تحمل السوريون خسائر فادحة بسبب التقلبات الخطيرة التي تعرض لها النقد الفرنسي و قد اشارت الى ذلك اللجنة الدائمة للانتداب [٣٣] .

٢- عدم استقرار سياسة السلطة الفرنسية المنتدبة في سوريا وعلى سبيل المثال التقسيمات المتعاقبة و المختلفة التي فرضت على سوريا من قبل المفوضيين الساميين الفرنسيين التي سميت بسياسة دوارة الهواء موضع انتقاد شديد من قبل اللجنة الدائمة للانتداب وهي لجنة دولية لا تميل بطبيعتها الى الانتقاد ، فقد اكدت ان التقلبات في القضايا التي تؤدي الى تشجيع الخلافات العرقية و القبلية و الدينية بين السكان و الى اثارة المطامع الشخصية وتهديد المصالح المعنوية والمادية تهديدا كبيرا فقد خلقت حالة من عدم الاستقرار و الاضطراب في البلاد المنتدب عليها [٣٤]، فضلا عن السببين المذكورين كانت هناك عددا من الشكاوى المقدمة ضد سلطة الانتداب ، سوف اتطرق الى ثلاثة من الشكاوى التي كانت من اسباب الاحتكاك و التوتر بين سلطة الاحتلال السوريين :

١- **الشكوى الاولى** كانت تتعلق بخنق الحريات الشخصية مثل تطبيق الاحكام العرفية التي اعلنت عنها في نهاية الحرب العالمية الاولى من قبل الجنرال اللنبي وشملت جميع المناطق السورية وضلت قامة حتى كانون الثاني عام ١٩٢٥ و حيث ان شكوى السوريين من استمرار المحاكم العرفية في ممارسة اعمالها و اختصاصاتها كانت اقل من شكواهم من الاعمال الارهابية و التصرفات الجارئرة التي قامت بها السلطات المدنية الفرنسية [٣٥] .

٢- **الشكوى الثانية** كانت الصحافة السورية تخضع لرقابة شديدة فرضت عليها بموجب نظام المطبوعات و المطابع الصادر في ٣٠/حزيران/١٩٢٤ و الذي اعطى للسلطة الفرنسية الحق في تعطيل الصحف لاسباب بسيطة وتافهة وسمح لها بمصادرتها ثمت مقالاً يمس رؤوساء الحكومات المحلية او ممثلي السلطة العامة او الموظفين او الاشخاص المكلفين بخدمة عامة [٣٦] .

٣- **الشكوى الثالثة** كانت تتمثل بالقيود المختلفة المفروضة على التجمع و انشاء الجمعيات والاحزاب السياسية ، و كانت السلطة الفرنسية المنتدبة ترفض الاعتراف باهمية هذه الشكوى، اضافة الى السوريين كانوا يترددون في تشكيل الاحزاب و الجمعيات بسبب القمع و العقوبات الشديدة التي عانوا منها اثناء الحكم العثماني [٣٧] .

نصح المفوض السامي الفرنسي الجنرال ساراي ، اعضاء الوفدود الشعبية التي قامت بزيارته ،بلزوم تأليف احزاب سياسية منظمة في سوريا كالحزب الراديكالي الفرنسي الذي ينتمي الجنرال ساراي اليه ،لان العمل السياسي المنظم يقوي حججهم و ينسقها ويوحد مطالبهم وتسهل الحوار معهم، وقد اخذ الزعماء الوطنيون بهذه النصيحة، وتم تشكيل حزب الشعب السوري في٩/اشباط/١٩٢٥ ، و طالب هذا الحزب بالوحدة السورية والاستقلال التام وبانسحاب الجيوش الفرنسية من البلاد، وحول هذين المطلبين الوحدة والاستقلال كان يدور النضال الوطني طوال فترة الانتداب الفرنسي [٣٨] .

في ١/كانون الاول/١٩٢٥ اعلن المندوب السامي الفرنسي قيام دولة سوريا برئاسة صبحي بركات الذي عهد بتشكيل الحكومة الى بديع مؤيد العظم ،غيران صبحي بركات اجبر على تقديم استقالته قبل نهاية العام ، ليحل محله تاج الدين الحسيني ، ولم تمضي اربعة اشهر حتى تنازل الشيخ تاج الدين بدوره و تولى رئاسة الدولة وعهد الى الداماد احمد نامي الذي شكل حكومته فقد تم تعديل التشكيل الوزاري مرتين ، احداهما في حزيران /١٩٢٦ والاخرى في تشرين الثاني /١٩٢٦ [٣٩] .

يبدو لي ان هذه التغيرات الحكومية المستمرة وكذلك التغير الوزاري هو دليل واضح على عدم الاستقرار السياسي ، فضلا عن التدخل الواضح للمندوب السامي الفرنسي في ادارة الحكومة وكذلك تأثير ثورة الدروز التي قادها سلطان باشا الاطرش ضد الوجود الفرنسي في سوريا .

في ٥/اب/١٩٢٨ عقد المجلس التأسيسي جلسته الرابعة عشر الشهيرة والتي تمخض عنها مفاجئة كبيرة و ازمة خطيرة فجرتها لجنة صياغة النظام الاساسي الذي تقدم بمشروع دستور تضمن قضايا كانت تعتبر محظورة مثل : الوحدة الوطنية،الجيش الوطني ، التمثيل الدبلوماسي ، بينما تتغافل كليا ذكر الانتداب (علما بأن الوطنيين كانوا حتى الامس القريب يلتزمون بتعهد جميل مردم للمندوبيه الساميه بتجنب الخوض في اي مجال لا ترضا عنه السلطات الفرنسية) ، كان جميل مردم انذاك المحاور الوحيد للمندوبيه ، مع انه لم يكن عضوا في النجلس التأسيسي ، و الملفت للنظر ان الاكثرية في المجلس تجاوبت مع رغبات الكتلة الوطنية وتبنت اقتراحاتها ، و جاء الرد الفرنسي سريعا رافضا المشروع الذي يتجاهل الانتداب الذي تعتبره فرنسا جوهر مسؤولياتها الدولية في سوريا ، و اصرت الحكومة الفرنسية على استبعاد المواد(٢ ،٧٣ ، ٧٤ ، ١١٠ ،١١٢)

من المشروع ، ثم اتخذ المندوب السامي قراره الاول بتعليق اعمال المجلس التأسيسي لمدة ثلاثة اشهر ، في ١١/اب/١٩٢٨ خلال الجلسة الخامسة عشر للمجلس التأسيسي اوعز رئيسه هاشم الاتاسي بتلاوة قرار المندوب السامي الفرنسي على النواب ، في ٨/تشرين الثاني/١٩٢٨ صدر عن المندوبيه الفرنسيسي القرار الثاني بتمديد تأجيل اعمال المجلس التأسيسي لدولة سوريا ثلاثة اشهر اخرى .

في ٥/اشباط/١٩٢٩ اصدر المندوب السامي قراره الثالث رقم ٢٣٨٥ تاريخ الخامس من شباط و القاضي بتأجيل اعمال الجمعية التأسيسية الى اجل غير مسمى ، وفي صباح ٧/شباط نقل ممثل المندوب السامي الى هاشم الاتاسي نبأ توقيع المندوب السامي على هذا القرار تنفيذا لتعليمات حكومته في باريس .

اصدر هاشم الاتاسي و فوزي الغزي و جميل مردم بيان استنكار عنيفا تكفل فيضي الاتاسي ترجمته الى الفرنسيه وقرر الوطنيون ترشيح هاشم الاتاسي لرئاسة الدولة عوضا عن ابراهيم هنانو الذي كان اسمه يخيف المسؤولين السياسيين في فرنسا [٤٠] .

النضال السوري للفترة ١٩٣٣-١٩٣٩

يقول الكاتب الفرنسي جان لابيير ((ان نظام الانتداب لا يروق للواقع لاحد)) [٤١] .

وهذا القول يوضح ما وصلت اليه العلاقات الفرنسية –السورية من توتر شديد و تدهور مستمر ما بين ١٩٣٣-١٩٣٦ الامر الذي جعل مركز فرنسا حرجا جدا في الشرق الاوسط وجعل نفوذها مهدد بالزوال.

في ١٧ /اذار/١٩٣٤ استقالت وزارة حقي العظم وتشكلت حكومة جديدة براسة الشيخ تاج الدين الحسيني وعاد الى مسرح السياسة السورية ثانية بتأييد الفرنسيين ورغبتهم ، لا برغبة رئيس الجمهورية السيد ممحمد العابد الذي لم يكن يملك من الامر شي في ذلك العهد ، وكانت فرنسا تتصرف في كل شأن من امورالحكم و في عودة الشيخ تاج الدين دليل على ان الحكم كان يستأثر فيه الفرنسيون بكل كبيرة وصغيرة .

في ٢١/تشرين الثاني/١٩٣٥ توفي الزعيم الوطني ابرهيم هنانو و اصدرت الكتلة الوطنية بياناً طالبت فيه باعلان استقلال سوريا و انهاء الانتداب الفرنسي عليها ، وتوثيق صلات التعاون مع البلاد العربية [٤٢] .

في ٢٢/كانون الثاني/١٩٣٦ اعلن الاضراب الشامل الذي امتد من دمشق الى سائر المدن السورية و استمر لمدة خمسين يوما ، و قامت السلطة الفرنسية باعتقال عدد كبير من زعماء البلاد و تم اغلاق مكاتب الكتلة الوطنية بالشمع الاحمر ، هذا التصرف من قبل السلطة الفرنسية وقيامها بالاجراءات القمعية زادت نقمت الجماهير ضد الاحتلال الفرنسي فتوسعت حركة المقاومة الوطنية في صفوف الشعب السوري و نشط زعماء

الكتلة الوطنية في تنظيم هذه المقاومة تنظيما شعبيا في مختلف المدن والقرى السورية [٤٣] ، استمرت وزارة الشيخ تاج الدين حتى اوائل سنة ١٩٣٦ ، و كانت سياسة تحدي شعورالبلاد وتجاهل مصالحها و حكمها حكما مباشرا و تسببت هذه السياسة في حركة سلبية تجلت في اضراب دمشق وسائر المدن السورية .

في ٢٣ /اشباط/١٩٣٦ قدمت وزارة الشيخ تاج الدين استقالتها وتم تكليف السيد عطا الايوبي احد رجالات دمشق المعتدلين بتشكيل الوزارة الجديدة من قبل المفوض السامي الفرنسي المسيو دي مارتل فتألفة الوزارة برئاسة عطا الايوبي و عضوية كل من السادة سعيد الغزي للعدلية والامير مصطفى الشهابي للنعارف و ادمون حمصي للمالية و مصطفى القصيري للاقتصاد الوطني ، و دعى المفوض السامي الفرنسي الحكومة السورية الجديدة و الزعماء الوطنيين للتفاوض و السفر الى باريس لتوقيع معاهدة للتحالف والصداقة بين فرنسا و سورية [٤٤] .

في ١/اذار/ ١٩٣٦ وقع المفوض السامي الفرنسي دي مارتل مع رئيس الكتلة الوطنية هاشم الاتاسي و رفاقه اتفاق في بيروت وفيه توافق الحكومة الفرنسية على استقبال وفد رسمي في باريس تتفاوض معه على نصوص معاهدة تحل محل الانتداب و تعين فيها الحقوق و الواجبات المتقابلة بين سوريا فرنسا .

في ٢٨/اذار/١٩٣٦ سافر الوفد السوري الى باريس برئاسة السيد هاشم الاتاسي رئيس الكتلة الوطنية وعضوية السادة سعد الله الجابري وجميل مردم وفارس الخوري من اركان الكتلة الوكنية ومصطفى الشهابي وادمون حمصي من الوزراء ، اضافة الى شخصيات اخرى و في بداية المفاوضات نشب خلاف حاد في وجهات النظر بين الفريقين السوري و الفرنسي حول اهداف المعاهدة ، تجلت فيها روح الفرنسيين و حرصهم على ان تظل لهم السيطرة على مرافق البلاد الرئيسية وشؤونها الفرعية و استعان المفاوضون السوريون فيها بالصبر والجلد و مقتضيات المصلحة الوطنية ،لكن التغير الوزاري الذي حدث في فرنسا بتاريخ ٤/حزيران/١٩٣٦ انقذ المفاوضات من خطر الفشل ، فاصبح المسيو ليون بلوم زعيم الجبهة الشعبية اليسارية رئيسا للوزراء، وتم توقيع معاهدة الصداقة و التحالف بينهما في ٩/ايلول/١٩٣٦ بعد قبول الجانب الفرنسي بضم منطقة جبل الدروز و منطقة العلويين الى الكيان السوري [٤٥] .

وقعت هذه المعاهدة التي تحل محل الانتداب في قاعة الساعة بقصر وزارة الخارجية الفرنسية وبحضور رئيس الوزراء الفرنسي المسيو ليون بلوم و اعضاء الوفدين المفاوضين السوري و الفرنسي ، وبعدها رجع الوفد السوري الى سوريا وقد ظفر في مهمته فاستقبل الوفد بمظاهر الفرح والابتهاج لتدشين هذه الخطوة الموفقة الاولى في حياة البلاد السياسية [٤٦] .

في تشرين الثاني / ١٩٣٦ اجريت الانتخابات العامة في سوريا لتأليف المجلس النيابي ، فانتهت بانتصار ساحق للمرشحي الكتلة الوطنية وقد فاز بمنصب رئيس الجمهورية السيد هاشم الاتاسي .

في ٢١/كانون الاول/١٩٣٦ اجتمع مجلس النواب السوريالذي انتخب اثر عودة الوفد السوري المفاوض من فرنسا في دورة استثنائية، فقدم رئيس الجمهورية السيد محمد علي العابد استقالته الى المجلس، و انتخب على الفور السيد هاشم الاتاسي رئيسا للجمهورية وقدمت حكومة السيد عطا الايوبي استقالتها الى رئيس الجمهورية المنتخب، وتألفت الحكومة الجديدة برأسة جميل مردم بيك لرأسة مجلس الوزراء للاقتصاد الوطني ، وشكري القوتلي للمالية والدفاع الوطني واخرين من الوزراء .

وفي ٢٢/كانون الاول/١٩٣٦ تم التوقيع في دمشق على المعاهدة السورية- الفرنسية ثم احيلت المعاهدة الى المجلس النيابي السوري للتصديق عليها، فتم بالاجماع في الجلسة التاريخية المنعقدة في ٢٦/كانون الاول/١٩٣٦ [٤٧] .

كانت الحالة السياسية في فترة المعاهدة تسير القهقري فدسائس الفرنسيين لم تنقطع في بعض المناطق السورية النائية ، والانتفاضات على الحكم الوطني كانت تغذي في منطقة اللاذقية وفي منطقة الجزيرة و في جبل الدروز ، كما ان الحكومة الفرنسية لم تعرض المعاهدة على البرلمان الفرنسي للتصديق ، فكأنها نكلت عنها وتراجعت عن المضي في سياسة التعاقد الجديدة، مع ان مجلس النواب السوري اسرع في تصديقها باجماع الاراء ، بينما الحكومة الفرنسية لم تعلن نكولها بصراحة ن بل لجأت الى المداورة و التأخير وبدأت بمساومة الحكومة السورية على ملاحق جديدة للمعاهدة، وقام رئيس الوزراء السوري في رحلاته المتتابعة الى فرنسا ولاقه صعوبات في طريقه واشواكا مبثوثة من حوله ، فحاول التغلب على الموقف بشي من المرونة ، املا ان تسير سياسة المعاهدة الى النجاح.

في ظل هذه الظروف السياسية لابد لي من الاشارة الى قضية مهمة تدل على خبث السياسة الفرنسية الا وهي مشكلة لواء الاسكندرونة التي اثارت الخلافة القوي بين الحكومة السورية من جانب والحكومتين الفرنسية و التركية من جانب اخر ، وفسوف لن اتناولها في هذا البحث لاني سبق و نشرت بحثا في مجلة جامعة الامام جعفرالصادق (عليه السلام) تناولت موضوع لواء الاسكندرونة بشكل مفصل للفترة ١٩٣٦-١٩٣٩ .

و يبدو لي ان احد الاسباب المباشرة لضياع لواء الاسكندرونة هو تدهور شعبية الحكم الوطني في سوريا ، حيث بدأ نفوذ الكتلة الوطنية الذي بلغ اوجه في عام ١٩٣٦ يتراجع تراجعاً كبيراً في الاوساط الشعبية السورية .

في ٢٢/اذار/١٩٣٨ قدم السيد شكري القوتلي استقالته من الوزارة بسبب اتفاقيتي البترول والبنك السوري مع الحكومة الفرنسية في غيابه، بالوقت الذي كان يؤدي مناسك الحج ، وتولى رئيس مجلس الوزراء السيد جميل مردم بيك وكالة الوزارتين اللتين كان يشغلهما [٤٨] .

نهاية الحكم الوطني السوري

في٨/كانون الثاني/١٩٣٩ وصل المسيو غابريال بيو المفوض السامي الفرنسي الى بيروت بدلا من المسيو دي مارتل، بعد ان وصلت العلاقة السورية – الفرنسية ذروتها بالتوتر ، وبعد وصله بيومين اصدر تصريحا اعلن فيه ان لفرنسا مهمة خاصة في المشرق، فهي المسؤولة عن حماية النظام و العدل وانهاء اذا سحبت قواتها او انقصت عددها في هذه المنطقة (سوريا و لبنان) فأن الوطنيين السوريين سيرون اعز امانيهم تغيب عن الوجود [٤٩] .

ادى هذا التصريح الى ازدياد حدة التوتر القائم بين السلطة الفرنسية المنتدبة وبين جماهيرالشعب السوري، فلجأت الجماهير الى اعلان الاضراب العام والسير في المظاهرات للتعبير عن سخطها ورفضها لسياسة التهديد و الوعيد التي اعلنها المفوض السامي بيو .

في شهر شباط عام ١٩٣٩ امر السيد بيو بتطبيق نظام الطوائف الذي كانت السلطة المنتدبة قد اصدرته في اذار /١٩٣٦ فقوبل بحملة عنيفة من النقد والمعارضة سواء في داخل المجلس النيابي السوري او في اواساط الشعب السوري ، وبالتالي لجأت الحكومة السورية الى اعلان وقف تنفيذه، خاصة وانه صدر عن المفوضية الفرنسية بدون علم الحكومة السورية او موافقتها، ولما عاد المفوض السامي بيو بتطبيقه في سوريا وطلب الى الحكومة السورية بسحب قرارها بوقف تنفيذ النظام الجديد المذكور .

يبدو لي ان وصول المفوض السامي الفرنسي بيو لسوريا في هذه الظروف الصعبة التي كان العالم يستعد فيه لخوض الحرب العالمية الثانية وشحنه من قبل الحكومة الفرنسية بمجموعة من القرارات والقوانين لاجل التخلص من ضغط الحكومة السورية و الجماهير السورية في تصديق معاهدة ١٩٣٦ و البدأ بتنفيذها هذا من جانب و الجانب الاخر المهم هو جعل سوريا و لبنان منطقة نفوذ لفرنسا ومن اجل استغلالها في الحرب العالمية الثانية .

في ١٨/شباط/١٩٣٩ قدم السيد جميل مردم بيك استقالة حكومته تعبيرا عن رفضه لطلب المفوض السامي كما ان مفاوضاته مع الحكومة الفرنسية لم يستطع ان يحصل على شيء بخصوص تصديق وتنفيذ معاهدة ١٩٣٦ [٥٠] .

في ٢٢ /شباط/١٩٣٩ قام السيد هاشم الاتاسي رئيس الجمهورية بتكليف السيد لطفي الحفار، احد اعضاء الكتلة الوطنية البارزين في دمشق بتشكيل الوزارة، ولكن سرعان ما تبين ان استمرارها في الحكم صعب بسبب موقف الحكومة

الفرنسية السلبي من جانب، و لكثرة التدخلات الفرنسية في الشؤون الداخلية لسوريا من جانب اخر، لذا قدم استقالته في ١٥/اذار/١٩٣٩ الى رئيس الجمهورية معلنا فيها ما يلي :

١- ثبت لدينا ان مصلحة بلادنا و مصلحة فرنسا لا تتفقان .
٢- ان فرنسا مترددة في قبول معاهدة ١٩٣٦ .
٣- لا توجد رغبة صادقة لدى فرنسا في التعاقد مع سوريا للاعتراف بحريتها و استقلالها و وحدتها ، اذن لا فائدة ترجا من تحمل مسؤوليات الحكم [٥١] .

استمرت الازمة الوزارية بدون ان يقبل احد من زعماء البلاد تأليف وزارة جديدة وفي ٥/نيسان/١٩٣٩ قبلت استقالة وزارة السيد لطفي الحفار ، وفي ٦/نيسان/١٩٣٩ تمكن رئيس الجمهورية هاشم الاتاسي من الوصول الى حل مؤقت للازمة الوزارية المستفحلة ، بأن عهد الى السيد نصوح البخاري وهو من رجالات دمشق المستقلين بتأليف الوزارة ، وقد حاولت الوزارة اعادة فتح المفاوضات مع الحكومة الفرنسية للتوصل الى ابرام اتفاق على اساس المعاهدة السورية- الفرنسية لعام ١٩٣٦ [٥٢] .

سافر السيد بيو الى فرنسا ليعرض على حكومته الاقتراحات المقدمة من قبل حكومة السيد نصوح البخاري، ولما عاد بيو الى سوريا في ١٠ /ايار/١٩٣٩ ، اعلن ان حكومة فرنسا حريصة على الوصول الى اتفاق عسكري مع سوريا، لان الوضع الدولي يستوجب عقد اتفاق عسكري ، وانه يتعين منح الاقليات مزيدا من الحقوق والحريات [٥٣] .

يبدو لي ان اقتراب موعد اعلان الحرب العالمية الثانية ، كان لابد لفرنسا من تعزيز قوتها العسكرية و السياسية في منطقة الشرق الاوسط ومن خلال عقد اتفاق عسكري مع سوريا سيحقق لها ذلك ،فضلا عن سيطرتها التامة على سوريا و لبنان والاردن وفلسطين سيطرة تامة من خلال هذا الاتفاق العسكري ، والشيء الاخرمنح الاقلبات مزيدا من الحقوق والحريات اي اعطاء الدعم المعنوي والسياسي للفئات الموالية لفرنسا وسياستها هذا جانب والشيء الاخر يعد تدخلا واضحا بالشؤون الداخلية لسوريا ودليلا واضحا على رسم السياسة الداخلية والخارجية لسوريا من قبل المفوض السامي الفرنسي، لذا كان من الواجب ان يكون ردا فعليا قويا في اوساط الكتلة الوطنية التي تحملت العبئ الكبير عبر حكوماتها التي تشكلت .

في ١٥/ايار/١٩٣٩ قدمت حكومة السيد نصوح البخاري استقالتها ، وبلغت الحالة السياسية حدا من الحرج الذي لا يوصف ، حيث لم يكن الفرنسيون المحليون الذين يحكمون في سوريا مرتاحين لفكرة المعاهدة التي تزحزح نفوذهم، فأخذوا يخلقون العراقيل في وجها بما يجاوز سياسة الجبهة الشعبية في فرنسا، ولذلك باشروا بتحريك فئات تناهض الحكومة السورية بعنف وفئات مؤيدتا لها لتنقل المعركة الى ساحة داخلية طائفية [٥٤] .

وشهد عام ١٩٣٩ انهيار الحكومة التي قادتها اكتلة الوطنية فقد عزمت فرنسا على التملص والتخلص من المعاهدة مع سوريا ورفضت فرنسا تجديد التنازلات التي كان بنك سوريا ولبنان قد قدمها مؤقتا للحكومة السورية ، وتصاعدة المعارضة الشعبية ووقع انشقاق في صفوف الكتلة الوطنية بين مؤيد لسياسة الحكومة ومعارض لها .

عملت المخابرات الفرنسية على منع الحكومة المركزية السورية من فرض سلطتها وهيبتها في انحاء البلاد ، فكان الفرنسيون يجولون في مناطق الدروز والعلويين والبدو في جبل الدروز وحوران واللاذقية ومنطقة الجزيرة ويحرضون السكان الزعماء المحليين على رفض السلطة المركزية والعمل على الانفصال الذي وعدتهم به فرنسا في بداية الانتداب [٥٥] .

في ١/تموز/١٩٣٩ اصدر المفوض السامي المسيو بيو قرارين منح بموجبهما كلا من منطقتي اللاذقية وجبل الدروز مزيدا من الاستقلال الاداري وخول المندوبين الفرنسيين صلاجية ممارسة جميع السلطة التشريعة والتنفيذية فيهما [٥٦] .

وكانت هذه القرارات التي اصدرها المفوض السامي، نهاية المطاف في استعادة الفرنسيين كل سلطة استردها الحكم الوطني منهم ، وكان الجواب على هذه السياسة كتابا رفعه رئيس الجمهورية السيد هاشم الاتاسي الى رئيس مجلس النواب بتقديم الاستقالة من رئاسة الجمهورية[٥٧] .

في ١٢/تموز/١٩٣٩ اصدرالمفوض السامي الفرنسي المسيو بيو قراراً بوقف العمل بالدستور (السلطتين التنفيذية والتشريعة) وحل مجلس النواب السوري واقامة حكم فرنسي مباشر من جديد و بذلك اعاد تاريخ الانتداب نفسه .

عين المفوض السامي الفرنسي اول حكومة من حكومات الانتداب الجديد، بهيج الخطيب رئيس مجلس المديريين ومديرالداخلية العام و اول ما فعلته هذه الحكومة الغاء وزارتي الخارجية والدفاع الوطني وتسريح موظفيها ، وتسريح جميع من من تسلموا مناصب في الدولة من الوطنيين وانصار الوطنيين ، وقد تميزت حكومة المديريين باساليب التنكيل وكبت الحريات فطغت وبغت و حاكت الدسائس والمؤامرات على الوطنيين ، وملأت السجون والمعتقلات بنخبة خيرة منهم و اشاعة حكم الارهاب قبل ان تعلن الحرب العالمية الثانية ، ولما وقعت الحرب اصبح كل شيء مباحاً ،و كل حرم مستباحاً واصبحت الاحكام الاستثنائية التي فرضتها حالة الحرب قسمة بين فرنسا وحكومة المديريين تتباريان في انزال النكبات فوق رؤوس الامنيين ، استمرت حكومة المديريين في طغيانها الى اليوم الذي انهزمت فرنسا فيها و سقطت وانهارت امام الجيش الالماني [٥٨] .

الخاتمة:

تبين ان الموقع الاستراتيجي الذي تتمتع به سوريا جعل انظار واطماع الدول الكبرى الاستعمارية تتوجه اليها ، مما تسبب بالمشاكل الكبيرة لها ، وصراع الدول الكبرى المتنافسة بينهم من اجل فرض الانتداب على سوريا ضمن الاتفاقات

السرية او المؤتمرات التي عقدت و سعت الى وضع سوريا تحت الانتداب الفرنسي ، الذي فشل فشلاً تاماً بالسيطرة على سوريا ، مما قادهم الى استخدام مختلف الطرق منها القتل والعنف والتهجير وسلب اراضيهم و من ثم تقسيم وتجزئة سوريا الى دويلات صغيرة لكي يسهل السيطرة عليها وحكمها .

الوجه المشرق للشعب السوري انه رغم استخدام الارهاب والعنف و تقسيم سوريا على اساس طائفي و قومي لكنه بقى موحداً هدفه الوحيد المحافظة على وحدة سوريا واستقلالها والخلاص من الفرنسيين مهما كان الثمن الذي يقدموه ، والدليل على ذلك وقوفهم بوجه الاستعمار الفرنسي من خلال الثورات والانتفاضات والمفاوضات وعرض قضيتهم في المؤتمرات الدولية ، مما اضعف فرنسا سياسياً ودولياً في داخل سوريا و خارجها.

الهوامش:

١-ارنولد توينبي ، المسح الدولي الافريقي ١٩٢٥،الجزء الاول،جامعة اوكسفورد، لندن، ١٩٢٧،ص٣٤٧ .

٢-ساطع الحصري،البلاد العربية والدولة العثمانية، دار الكشاف ،بيروت،١٩٤٥،ص٣٤٣ .

٣-فليب حتي،تاريخ سوريا،طبعة لندن،١٩٥١،ص٥.

٤-جورج انطونيوس،يقظة العرب،لندن،١٩٣٨،ص٢٦٦-٢٦٧ .

٥-سبايزر .ف.ر ، الولايات المتحدة في الشرق الاوسط،جامعة هارفرد،١٩٥٠،ص٥٥.

٦-امين سعيد،الثورة العربية الكبرى،القاهرة،١٩٤٤،ص٢-٣.

٧-نزار الكيالي، دراسة في تاريخ سورية السياسي المعاصر ١٩٢٠-١٩٥٠،دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر، دمشق ،١٩٩٧،ص٣٣ .

٨-علي سلطان،تاريخ سوريا،١٩١٨-١٩٢٠،حكم فيصل بن الحسين،دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر،بيروت ١٩٨٧،ص٩٨-٩٩ .

٩-جورج انطونيوس، المصدر السابق،ص٤٣٥؛ نزار الكيالي ، المصدر السابق ص٣٤ .

١٠-البرت حوراني، سورية ولبنان،جامعة اوكسفورد، لندن،١٩٤٦،ص٥١ .

١١-نزار الكيالي،المصدرالسابق،ص٣٤-٣٥ .

١٢-جورج انطونيوس،المصدرالسابق،ص٢٩٤-٢٩٥؛امين سعيد،المصدرالسابق،ص٤٧-٥٠

١٣-البرت حوراني،المصدر السابق ،ص٥٤؛امين سعيد،المصدرالسابق،ص٩١.

١٤-محمدهواش،تكون جمهورية"سورية والانتداب"،مسح شهاب الدمشقي،الطبعة الاولى،مكتبةالسائح،بيروت، ٢٠٠٥،ص٤١ .

١٥-نزار الكيالي، المصدرالسابق،ص٣٥-٣٦.

١٦-امين سعيد،المصدر السابق،ص١٣٠-١٣٢ ؛ نجاة قصاب حسن،صانعوا الجلاء في سورية،شركة المطبوعات للتورزيع والنشر، بيروت،٢٠٠٣ ،ص٣١٩-٣٢٠ .

١٧-جان لابيير، Jean Lapierre,Lamandat fran cais in Syrie, parism,1936,P41.

١٨-جورج انطونيوس،المصدرالسابق،ص٣٠٥؛البرت حوراني ،المصدرالسابق،ص٥٦ .

١٩-نزار الكيالي،المصدرالسابق،ص٣٨ .

٢٠-تامبرلي، Temperlay-H-W,AHistory of the peace conference oxford university press,London,1935,P158.

٢١-محمدهواش، المصدرالسابق،ص٥٠ .

٢٢-نجاة قصاب حسن،المصدرالسابق،ص٣٢٧ .

٢٣-ارنولد توينبي،المصدر السابق،ج٢،ص٣٥٥-٣٥٨؛ نزار اليكالي،المصدرالسابق،ص٤٦-٤٨ .

٢٤-عبدالرحمن الكيالي،الجهادالسياسي،المطبعة العصرية،حلب، ١٩٤١ ،ص١٥.

٢٥-نجاة قصاب حسن،المصدرالسابق،ص٣٢٨-٢٣٠ .

٢٦-ارنولد توينبي،المصدرالسابق،ج١،ص٣٦٠ .

٢٧-حسن امين البعيني،سلطان باشا الاطرش،مسيرة قائد في تاريخ امة،دمشق،٢٠٠١،ص٦٩

٢٨-علي رضا،قصةالكفاح الوطني في سورية،مطبعة شيك ابلاك،حلب،١٩٥٨،ص٢٣-٣٥؛ فتح الله الصقال،ذكرياتي في المحاماة ،الجزء الاول،مطبعة الضاد،حلبن١٩٥٨،ص٤٧-٦٠.

٢٩-نزالر الكيالي،المصدرالسابق،ص٥٦.

٣٠- ارنولد توينبي،المصدرالسابق ،ج١،ص٤٠١.

٣١-وجيه الحفار ،الدستوروالحكم في الجمهورية السورية،مطبعة الانشاء،دمشق،١٩٤٨،ص١٨ .

٣٢-المصدرنفسه،ص٣٠-٣١ .

٣٣-نزارالكيالي،المصدر السابق،ص٥٠ .

٣٤-اليزابيث ماك كلوم ElzaethMac Callum,The nationalist in stria foreigh Asso ciation, newyork,1926,P96.

٣٥-ارنولد توينبي،المصدرالسابق،ج١،ص٤٠٠؛ اليزابيث ماك كولم،المصدرالسابق،ص٧١.

٣٦-نزار الكيالي،المصدرالسابق،ص٥٢.

٣٧-عبدالرحمن الكيالي،المصدرالسابق،ص٦٩-٧٠.

٣٨-البرت حوراني،المصدرالسابق،ص٢٦٨.

٣٩-محمدهواش،المصدرالسابق،ص١٥٧.

٤٠-المصدرنفسه،ص٢٠٠-٢٠٨.

٤١-جان لابيير ،المصدرالسابق،ص١٨٨.

٤٢-ارنولد توينبي،المصدرالسابق،ج٢،ص٧٥١.

٤٣-علي رضا،المصدرالسابق،ص٦٠؛ نزار الكيالي،المصدرالسابق،ص٧١.

٤٤-وجيه الحفار ،المصدرالسابق،ص١٧٦.

٤٥-البرت حوراني،المصدرالسابق،ص٣١٤-٣٢٣.

٤٦-وجيه الحفار ،المصدرالسابق،ص١٧٧.

٤٧-البرت حوراني،المصدرالسابق،ص٣٣٣-٣٣٧ .

٤٨-نجاة قصاب حسن ،المصدرالسابق،ص٤٣٠-٤٣١ .

٤٩-البرت حوراني،المصدر السابق،ص٣٢٥.

٥٠-نزار الكيالي،المصدرالسابق،ص٩١ .

٥١-نجاة قصاب حسن،المصدر السابق،ص٤٣٢.

٥٢-نزار الكيالي، المصدرالسابق،ص٩١-٩٢.

٥٣-البرت حوراني،المصدرالسابق،ص٣٢٧ .

٥٤-نجاة قصاب حسن،المصدر السابق،ص٤٣٢ .

٥٥-كمال ديب،تاريخ سورية المعاصر بين الانتداب الفرنسي الى صيف ٢٠١١،دار النهارللنشر،بيروت،تشرين الاول ٢٠١١ ،ص٧٤-٧٥ .

٥٦-عبدالرحمن الكيالي،المصدرالسابق،ص٤٢٦.

٥٧-وجيه الحفار ،المصدرالسابق،ص١٧٤-١٨١ .

٥٨-المصدر نفسه،ص١٨٤-١٨٥ .

المصادر :

١- ارنولد توينبي،المسح الدولي الافريقي١٩٢٥،ج١،جامعة اوكسفورد،لندن،١٩٢٧.

٢- ارنولد توينبي،المسح الدولي الافريقي١٩٢٥،ج٢،جامعة اوكسفورد،لندن،١٩٣٦.

٣- البرت حوراني،سوريا ولبنان،جامعة اوكسفورد،لندن،١٩٤٦ .

٤- المجلة المصريةللقانون الدولي،ج٣،القاهرة،١٩٤٧.

٥- امين سعيد،الثورة العربية الكبرى،القاهرة،١٩٤٤.

٦- جورج انطونيوس،يقظة العرب،لندن،١٩٣٨.

٧- حسن امين البعيني،سلطان باشا الاطرش،مسيرة قائد في تاريخ امة،دمشق،٢٠٠١.

٨- ساطع الحصري،يوم ميسلون،بيروت،د.ت.
٩- ساطع الحصري،البلاد العربية والدولة العثمانية، دار الكشاف،بيروت،١٩٤٥ .
١٠- سباييزر.ف.ر ،الولايات المتحدة في الشرق الاوسط،جامعة هارفرد،١٩٥٠ .
١١- عبدالرحمن الكيالي،الجهاد السياسي،المطبعة الحصرية،حلب،١٩٤١ .
١٢- علي رضا،قصة الكفاح الوطني في سورية،مطبعة شيك بلاك،حلب،١٩٥٨.
١٣- علي سلطان، تاريخ سورية ١٩١٨-١٩٢٠ حكم فيصل بن الحسين،دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ،بيروت،١٩٨٧.
١٤- فتح الله الصقال،ذكرياتي في المحاماة،ج١،مطبعة الضاد،حلب،١٩٥٨.
١٥- فيليب حتي،تاريخ سوريا،طبعة لندن،١٩٥١ .
١٦- كمال ديب،تاريخ سورية المعاصر من الانتداب الفرنسي الى صيف ٢٠١١،دار النهار للنشر ،بيروت،تشرين الاول ٢٠١١ .
١٧- محمد هواش،تكون جمهورية (سورية والانتداب)، مسح شهاب الدمشقي،الطبعة الاولى،مكتبة السائح،بيروت،٢٠٠٥ .
١٨- نجاة قصاب حسن،صانعوا الجلاء في سورية،شركة المطبوعات للتوزيع والنشر ،بيروت،٢٠٠٣ .
١٩- نزار الكيالي،دراسة في تاريخ سورية السياسي المعاصر١٩٢٠-١٩٥٠،دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر ،دمشق،١٩٩٧ .
٢٠- وجيه الحفار، الدستور والحكم في الجمهورية السورية،مطبعة الانشاء،دمشق، ١٩٤٨ .
21- Elizabeth Mac callum,The nationalist in Syria foreign Association,newyork ,1926 .
22- Jean lapierre,lamandat fran cais ensyrie, paris ,1936 .
23- Temperley.H-W, AHistory of peace,conference Oxford unverstiy press,London,1935 .

Sources:

1- Arnold Toynbee, International African Survey 1925, Part 1, Oxford University, London, 1927.

2- Arnold Toynbee, International African Survey 1925, Part 2, Oxford University, London, 1936.

3- Albert Hourani, Syria and Lebanon, Oxford University, London, 1946.

4- Egyptian Journal of International Law, Part 3, Cairo, 1947.

5- Amin Saeed, The Great Arab Revolt, Cairo, 1944.

6- George Antonius, The Arab Awakening, London, 1938.

7- Hassan Amin Al-Baini, Sultan Pasha Al-Atrash, The Journey of a Leader in the History of a Nation, Damascus, 2001.

8- Sati' Al-Husri, Maysaloun Day, Beirut, D.T.

9- Sati' Al-Husri, The Arab Countries and the Ottoman Empire, Dar Al-Kashaf, Beirut, 1945.

10- Speiser, F.R., The United States in the Middle East, Harvard University, 1950.

11- Abd al-Rahman al-Kayyali, Political Jihad, Al-Hasarya Press, Aleppo, 1941.

12- Ali Reda, The Story of the National Struggle in Syria, Chic Black Press, Aleppo, 1958.

13- Ali Sultan, The History of Syria 1918-1920, The Rule of Faisal Bin Al-Hussein, Dar Talas for Studies, Translation and Publishing, Beirut, 1987.

14- Fathallah Al-Saqal, My Memories of Law, Part 1, Al-Dhad Press, Aleppo, 1958.

15- Philip Hitti, History of Syria, London edition, 1951.

16- Kamal Deeb, Contemporary History of Syria from the French Mandate to the Summer of 2011, Dar Al-Nahar Publishing, Beirut, October 2011.

17- Muhammad Hawash, The Republic Will Be (Syria and the Mandate), Survey of Shihab Al-Dimashqi, first edition, Al-Sayeh Library, Beirut, 2005.

18- Najat Kassab Hassan, Evacuation Makers in Syria, Publications Distribution and Publishing Company, Beirut, 2003.

19- Nizar Al-Kayyali, A Study in the Contemporary Political History of Syria 1920-1950, Talas House for Studies, Translation and Publishing, Damascus, 1997.

20- Wajih Al-Haffar, The Constitution and Governance in the Syrian Republic, Al-Inshaa Press, Damascus, 1948.

21- Elizabeth Mac Callum, The nationalist in Syria Foreign Association, New York, 1926.

22- Jean Lapierre, French newspaper, Paris, 1936.

23- Temperley.H-W, AHistory of peace, conference Oxford unverstiy press, London, 1935.